# الإعجاز البياني في سورة القدر

# Rhetorical Devices mentioned in Sūrah al-Qadr

د. كفايت الله همداني *

د. عبدالمجيد بغدادي **

## Abstract

*According to specialists of Arabic rhetorical sciences, the sublime Qur'ān, the word of God, is miraculous in terms of words, order, expression and content. Its eloquence is so extraordinary that it has been challenging for fourteen hundred years the greatest literary geniuses, the most wonderful orators, and the most profound scholars among mankind to compete with it, to produce alike of it, or the like of even one of its sūrahs. But no one has been able to open his mouth in competition of the Qur'ān. The research paper at hand attempts to highlight rhetorical beauties of sūrah al Qadr. Although comprising of only five verses, this sūrah carries an ocean of meaning and eloquence. These rhetorical peculiarities among others include simile, metaphor and metonym.*

**Keywords:** Sūrah al-Qadr, Qur'ānic eloquence, Metaphor, Simile, Metonym

إنَّ الحديث عن القرآن الكريم إنَّما هو حديثٌ عن كلام الله ربِّ العالمين عزوجل ، الذي أنزله لهداية البشرية جمعاء ، وإخراجها من ظلمات الكفر والظلم والفجور ، إلى نور الهداية والعدل والإسلام ، كتابٌ جعله عزوجل دستوراً ومِنهاجاً يسير على وفق أصوله وضوابطه المؤمنون ، ولا يحيد عنه إلا الضالون المنحرفون ، كتابٌ معجزٌ في نظمه وتشريعاته ، ولما كان هذا هو القرآن الكريم آمن به من هداه الله عزوجل وأراد له الخير ، وكفر به كلّ منحرفٍ ضالٍ ، والناظر في القرآن الكريم يجد حديث القرآن الكريم عن نفسه جليّاً ، من حيث إنزاله، وحديثه عن أسمائه وصفاته ، وأثره في النفوس مؤمنتها وكافرتها ، فضلاً عن الدفاع عنه، وردِّ شُبه الكافرين ، هذا الحديث الذي يُضيء لنا شتَّى جنبات القرآن الكريم ، ومختلف مزاياه واعتباراته ، وأغلب هذا الحديث جاء دِفاعاً عن القرآن الكريم ومصدره الإلهيّ ، ظاهراً أو ضِمّناً ، وخصصت بحثي هذا حول حديث القرآن الكريم عن نفسه من حيث إنزاله في ضوء سورة القدر :

'' إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.'' [1]

تعرض السورة الحديث عن ليلةٍ مُباركةٍ مشهودةٍ تُعدُّ من أفضل الليالي والأزمان عند الله عزوجل ألا وهي ليلة القدر التي جعل سبحانه وتعالى العمل الصالح فيها أفضل من العمل في ألف شهرٍ ليس فيه هذه الليلة المباركة ، تفضلاً منه عزوجل وإكراماً لهذه الأمّة مُحسنها ومُسرفها ، وممَّا يعضد هذا الكلام ما رُوي عَنْ مُجاهِدٍ رحمه الله : أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم "ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلاَحَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، قَالَ: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ'' إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ''التي لَبِسَ فِيهَا ذَلِكَ الرَّجُلُ السِّلاَحَ في سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ" [2].

ليلةٌ أُنزل فيها القرآن جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا نحو ما ورد عن ابن عبَّاس رضي الله عنه [3]، وهي ليلة الاتصال بين السماء والأرض حين نَزَل أول ما نزل من القرآن فيها ، ذلك الحدث العظيم والمنزلة

---

* الأستاذ المشارك، رئيس قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

** الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد

العالية لهذه الليلة ولهذا القرآن المبارك لم تشهد المعمورة مثله قطّ في عظمته وآثاره على الحياة الإنسانية برمّتها ، هذه الليلة التي ذُكرت في سورة القدر هي نفسها التي ذُكرت في سورة الدخان في قوله عزوجل:'' إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ'' [4]، فإذا كانت الليلة مباركةً وذات قدرٍ عالٍ ، فما بال الكتاب الذي أُنزل فيها . ولن نخوض في البحث في تحديدها وفضلها وما يتعلّق بها ، فالدراسات والبحوث قد أفاضت في هذا الجانب ، فضلاً عن أنَّ مجال دراستنا بلاغيٌّ تحليليٌّ، مُحاولين من خلالهما الغوص في أعماق النص القرآني وسبر أغواره للكشف عن درره ولآلئه.

وإذا انتقلنا إلى الجانب البلاغيّ والتعبيريّ في السورة نجدها تفيض بألوان البلاغة، وتُسبك بأرفع الأساليب لترتقي أعلى درجات الفصاحة والبلاغة ، وأول ما يقابلنا من الفنون البلاغية افتتاحها بالأسلوب الخبري المؤكد في قوله عزوجل: ''إِنَّا أَنْزَلْناه'' ، فقد أتى بـ(إنَّ) المكسورة في بداية السورة ، لتأكيد الحكم وهو صدق القرآن الكريم وإنزاله من ربِّ العالمين عزوجل، والردِّ على المنكرين والشاكِّين.

ومن دقائق الآية نفسها إيثار الإتيان بضمير المتكلّم للتعظيم (نا) وهو الله عزوجل إشعاراً بتعظيم المنزِّل عزوجل والمنزَّل —القرآن الكريم— ، وما أكّد هذا التعظيم إسناد الإنزال إليه عزوجل وجعله مُختصّاً به دون غيره عزوجل في قوله تعالى : '' إِنَّا أَنْزَلْناه'' ، ولكي يقطع سبحانه الشكّ والريبة حين يستخدم هذا ضمير يذكر قبله أو بعده كلاماً يدلّ على أنَّه واحدٌ عزوجل وهو قوله تعالى : '' رَبِّهِم '' في آخر السورة ، لكي لا يكون في النفس شركٌ أو ما شابه ، وكلُّ هذا تشريفٌ وتعظيمٌ لهذا الكتاب العظيم ، كيف لا وهو كلام الله عزوجل العظيم الجليل ، وهكذا نجد هذا الأسلوب كلَّما كان المراد الإشعار بأنَّ ما يُسنده عزوجل إلى نفسه جليلٌ عظيمٌ عنده عزوجل ، وأمثال هذا كثيرٌ في القرآن وبخاصّة حين يكون الحديث عن القرآن الكريم مثل قوله عزوجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [5]، وقوله عزوجل: ''إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ'' [6]، وقوله عزوجل: '' إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ''[7] [8].

ومن لطائف الآية نفسها الإضمار بلا سبق مرجعٍ في قوله عزوجل: '' أَنْزَلْناه'' [9]، فقد أتى سبحانه بضمير الغائب (الهاء) الذي يعود على القرآن الكريم مع أنَّه غير مذكورٍ للتنويه به ولتفخيم شأنه ، كأنَّه حاضرٌ في جميع الأذهان، غير غائبٍ عن البشر، فاكتفى بالضمير عن التصريح به ؛ لشهرته والعلم به بداهةً ، فهو المنزَّلُ من عند الله عزوجل على رسولهصلى الله عليه وسلم، وقد غدا معلوماً في استعمالات القرآن الكريم قبل نزول سورة القدر، مشهوراً لا ينصرف الذهن إلى غيره[10]، وممَّا عظّم قدر هذا الكتاب هو إنزاله في ليلةٍ وصفت بأنَّها ليلة القدر ، والقدر يُطلق ويُراد به عدّة معانٍ منها القضاء والحكم والتدبير، ومن معانيه المكانة وعلوّ الشأن، أي: إنَّها ليلةٌ مباركةٌ ذات مقدارٍ عظيمٍ لشرفها ورفعة قدرها عند الله عزوجل ، أو ليلة الحكم والتدبير والقضاء، إذ يقدّر الله عزوجل فيها مقادير الخلائق وفق علمه وحكمته عزوجل [11]. فإذا كانت الليلة التي أنزل فيها مباركة وعظيمة الشأن عند الله عزوجل فما بال القرآن الذي أُنزل فيها واستمدت بركتها من إنزاله ، فهو مباركٌ أيضاً وعظيمٌ[12]، وممّا سبق ذكره يتبيّن عظم القرآن الكريم من ثلاثة أوجه:

- إسناد الإنزال إليه عزوجل .
- المجيء بالضمير دون الاسم ؛ لشهرته .
- الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه[13].

ومن دقائق التعبير في الآية إيثار الفعل ﭼ ﭘﭼ بدلاً من (نزّلناه) للدلالة على أنَّ إنزاله كان دفعياً لا تدريجياً في هذه الليلة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا دفعةً واحدةً ، ولهذا عبَّر عن هذا الحدث بالفعل ﭼ ﭘﭼ ؛

لأنَّه يدلّ على الإنزال مرةً واحدةً أو جملةً واحدةً ، وبهذا يتناسب الفعل مع الحدث ، أمَّا الفعل (نزَّل) فيدلّ على التكرار والتدرّج ؛ لأنَّ هذا الفعل يعني الإنزال على مراحل أو أجزاء متفرّقة[14] ، ولهذا نجد القرآن الكريم يأتي معه التنزيل كثيراً حين يُراد إنزاله على قلب رسول الله ﷺ مثل قوله عزوجل : '' تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ'' [15] ، وقوله عزوجل: '' تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ'' [16] ، أما الكتب السماويّة الأخرى فلا يُذكر معها التنزيل ، وإنما يُذكر معها الإنزال ؛ لما سبق ذكره من دلالة كلّ لفظ ، مثل قوله تعالى: '' نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ '' [17] ، فجاء بالفعل (نزَّل) مع القرآن الكريم ؛ لأنَّه نزل مُنجّماً ، وبالفعل أنزل مع التوراة والإنجيل ؛ لأنَّهما أُنزلا دفعةً واحدةً[18] ، وجاء التعبير بالإنزال ليلاً ؛ لأنَّه وقت نزول أكثر النفحات والبركات ، ولأنَّ عبادة الليل أفضل من عبادة النهار ؛ لأنَّ قلب الإنسان فيها أجمع والعبادة فيها أخشع –المقصود من العبادة حضور القلب[19] ، وجاء ذكر هذه الليلة بإضافتها إلى كلمة (القدر) المعرَّفة بأل ، فلم يقل: (في ليلة قدرٍ) بالتنكير ؛ لأنَّه قصد جعل هذا المركب (ليلة القدر) بمنزلة العَلَم لتلك الليلة المباركة كالعلم بالغلبة، فتعريف المضاف إليه باللام (القدر) مع تعريف المضاف بالإضافة (ليلة القدر) أوغل وأبلغ في جعل هذا المركّب لقباً لاجتماع تعريفين فيه (الإضافة والتعريف بأل)[20] .

وبعد كلِّ ما سبق ذكره من تعظيم هذه الليلة جاء الاستفهام في قوله عزوجل: ''وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ''، من أجل تفخيم أمرها وتعظيم شأنها، أي: ما أعلمك ما هي ليلة القدر؟، ف(ما) اسم استفهام يُستفهم به عن حقيقة الشيء وماهيته ، وهذا الاستفهام ونظيره يتضمّن معنى نفي علم المخاطب بما مسؤول عنه ، أي: لا تدري مهما بلغت سابحاً في التصوّر مَبلَغَ مكانة هذه الليلة العظيمة إلا إذا أعلمناك بذلك ، ولقد تكرّر مثل هذا الاستعمال ، حتى صار معلوماً أنَّه أسلوبٌ من أساليب التعظيم والتكبير ، والتهويل والتعجيب ، قال الشوكاني رحمه الله "العرب تقول : وما أدراك ما كذا؟ إذا أرادوا المبالغة في أمره وتعظيم شأنه وتهويل خطبه"[21] ، وفي هذا دلالةٌ كافيةٌ شافيةٌ على أنَّها ليلةٌ عظيمةٌ جداً .

وأعيد ذكر (ليلة القدر) مع أنَّه قد سبق ذكرها ، وهذا خلاف مقتضى الظاهر؛ لأنَّ مقتضى الظاهر الإضمار (وما أدراك ما هي) ولكن عدل إلى الإظهار في موضع الإضمار[22] ، لقصد الاهتمام بتعيينها ، فحصل تعظيم صريح لليلة القدر ، وحصلت كنايةٌ عن تعظيم ما أُنزل فيها وأنَّ الله عزوجل اختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان[23] ، فالتعبير بالاسم الظاهر أتى لكمال العناية بها ، وللتأكيد على قيمتها[24] ؛ لأنَّ الاسم الظاهر أقوى وآكد من الضمير ، وأدلّ وأبلغ عن المعنى المراد، ومثل هذا الأسلوب كثيرٌ في القرآن نحو قوله تعالى: ''الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ '' [25] ، وغيرها.

وبعد هذا الاستفهام أتى البيان لهذا الإبهام ؛ لأنَّ بعد هذا التعجيب من عظمة وجلالة ليلة القدر ، ربما يقع في النفس سؤال حول صفاتها ، فجاء جواب هذا السؤال بقوله تعالى: '' لَيْلَةُ الْقَدْرِ'' ، أي: هي خيرٌ من ألف شهرٍ في فضلها الزمانيّ الذي جعله الله عزوجل لها ، وفي فضلها أيضاً بما يجريه عزوجل على عباده ، وبما فيه فضل الدعاء والعبادة من قبولٍ ومضاعفةٍ للأعمال الصالحة وغيرها[26] ، فهي ليلة العفو والغفران.

ومن أوجه البلاغة الإيجاز والإطناب بحسب ما يقتضيه المقام ، فقد حذف من الآية لفظاً وهو (العبادة) ، أي : العبادة في هذه الليلة خيرٌ من العبادة في ألف شهرٍ غيرها ، والعمل فيها خيرٌ من العمل في ألف شهرٍ ؛ لأنَّها ليلةٌ عظيمةٌ من أعظم الليالي ، فهي على حذف المضاف[27] ، وجاء هذا الحذف تهذيباً للعبارة لظهور المعنى وجلائه ؛ لأنَّ المعنى الذي يُدركه الفهم إدراكاً قويّاً مع حذف الألفاظ الدالّة عليه يكون في ذكرها فضولٌ يتنزَّه عنه البيان الحكيم .

أما الإطناب فكان في تكرار لفظ مع أنَّ الأصل الإضمار، وعدل إلى الإظهار، فكرّر مرّةً أخرى وذكر فضلها ،

وبهذا تكرّرت ثلاث مرات على سبيل الإطناب ، وجاء التكرار رفعاً لمنزلتها وتعظيماً لشأنها ، فإنَّ الاسم قد يُذكر بالتصريح في موضع الإضمار تعظيماً وتخويفاً[28]، وهذا التعبير لم يرد نظيره في القرآن الكريم البتّة ، فقد يأتي التعبير بالتكرار مرتين ككثيرٍ من مواضع القرآن ، لكن لا يُكرّر مرةً ثالثةً في الجواب ، نحو قوله عزوجل : ''وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ'' [29]، وقوله عزوجل :''كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ'' [30]، وغيرها من الآيات، فلم يقل: الطارق النجم الثاقب، ولا الحطمة نار الله عزوجل الموقدة ، فلم يأتِ التعبير هكذا في القرآن الكريم إلا في سورة القدر حول هذه الليلة العظيمة ، وأتى بالتكرار للزيادة في تفخيمها وتعظيمها وشدّ انتباه المتلقي إلى إكبار ما يُساق من شأنها ؛ لأنَّ الذي أنزل منها كلامه عزوجل وأعلى من كلّ شيءٍ ، ومن هذا نستشف عظمة القرآن الكريم[31] .

وذكر بعد البيان في قوله تعالى : '' لَيْلَةُ الْقَدْرِ'' بياناً ثانياً لهذا الاستفهام بقوله تعالى:'' تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ''، وهذه الآية مستأنفةٌ لبيان السبب الذي فُضّلت من أجله هذه الليلة على ألف شهرٍ، وفُضّلت ؛ لأنَّ الملائكة وعلى رأسهم جبريل *V* تهبط من السموات إلى الأرض بكلّ أمرٍ ومن أجل كلّ أمرٍ قُدّر في تلك الليلة ، ولتشهد ليلة الخير العظيم الذي جعله الله عزوجل للمؤمنين[32].

ومن دقائق الآية التعبير بهبوط الملائكة بالفعل (تنزّل) دون (تتنزل)، بحذف إحدى التاءين منه، وهذا وفق قانونٍ تعبيريٍّ في القرآن الكريم ، إذ إنَّه يُحذف في التعبير القرآني حرفٌ أو كلمةٌ حسب ما يقتضيه السياق ، وكلُّ ذلك لغرضٍ بلاغيٍّ تُلحظ فيه غاية الفنّ والجمال ، فيُقتطع من الفعل إذا كان الحدث أقلّ وإذا كان الحدث أطول يُعطى للفعل درجته كاملةً من غير اقتطاعٍ، والكلام هنا عن ليلة القدر التي تنزّل الملائكة في هذا الحدث مرةً واحدةً في العام كلّه بخلاف الفعل (تتنزل) إذ يدلّ على الحالة الطبيعية والإكثار نحو قوله عزوجل : '' إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ'' [33] [34]، وهذا من مطابقة الكلام لمقتضى الظاهر ، باختيار الكلام واللفظ المناسب للحال المراد التعبير عنها.

وجاء التعبير عن النزول بالفعل المضارع ''تنزّل'' للدلالة على استمرارية نزولهم في هذه الليلة وتتابعهم طائفةً بعد طائفةٍ ، فهذا الفعل يقتضي المرّة بعد المرّة ، فينزل فوجٌ ويصعد فوجٌ لضيق الأرض بهم[35]، وممّا يعضد هذا قوله صلى الله عليه وسلم:"إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى"[36].

والمراد بالروح في الآية جبريل عليه السلام، ولرئاسته عليهم وجلالة قدره وشرفه ذُكر مرتين ، مرةً على سبيل الإجمال مع الملائكة بشكلٍ عامٍ ، ومرةً أخرى مُنفرداً معطوفاً على الملائكة[37]، وهذا الأسلوب يُعرف بذكر الخاص بعد العام[38]، وهو من طرائق الإطناب يُؤتى به في الكلام للدلالة على شرف الخاصّ على العام وفضله، وعلوّ منزلته وقدره عليهم.

وهذا التنزّل لا يكون إلا بإذنه عزوجل وبأمره عزوجل ؛ لأنَّهم يشتاقون إلى المؤمنين من أهل الأرض فيُؤذن لهم بذلك[39]، فينزلون للقيام بوظائفهم وأعمالهم التي يُكلّفونها، من عنده عزوجل لخلقه ، فهذا التنزّل بإذن الله عزوجل بكلّ أمرٍ من أموره التي قدرها [40]عزوجل.

ومن بلاغة الآية تنكير'' أَمْرٍ'' للتعظيم والتفخيم، أي من كلّ أمرٍ عظيمٍ جليلٍ ، وبأنواع الثواب على الأعمال الصالحة في هذه الليلة المباركة[41].

وختمت السورة بقوله عزوجل: ''سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ'' للدلالة على بركة وعظم هذه الليلة، وممّا زاد هذا التعظيم هو تنكير'' سَلَامٌ'' ، وإخباره عن هذه الليلة بأنَّها سلامٌ للمبالغة في اشتمالها على السلامة[42]، فهي ليلة

الأمن والسلام، لا غضب من الباري عزوجل ولا انتقام ، بل يسدل الرحمن عزوجل مغفرته وعفوه على الجموع المؤمنة.

ومن بلاغة الآية ولطائفها أسلوب القصر بتقديم الخبر '' سَلَامٌ'' على المبتدأ'' هِيَ'' لإفادة الحصر والتخصيص، أي ما هي إلا سلامةٌ وخيرٌ كلّها، من غروب الشمس إلى طلوع الفجر[43]؛ لأنَّ الخالق عزوجل لا يُقدّر فيها إلا الخير والسلامة ، أما في غيرها فيقضي بالخير والبلاء.

وفي بلاغتها أيضاً الاحتراس[44] في قوله تعالى: '' حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ''، وجاء لدفع توهّمٍ قد يرد بعد ذكر تنزّل الملائكة إلى الأرض ؛ لأنَّ تنزّل الملائكة يكون للخير ويكون للعقاب والعذاب نحو قوله عزوجل : '' مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ''[45]، وأفاد هذا الاحتراس أنَّ تنزّل الملائكة في هذه الليلة المباركة لتنفيذ أمر الله عزوجل وهو الخير للمسلمين الذين صاموا رمضان وقاموا هذه الليلة ، وهي بشارةٌ عظيمةٌ ما بعدها بشارة[46].

ومن جماليات السورة توافق الفواصل مراعاةً لرؤوس الآيات ، فقد وردت في ثوبٍ واحدٍ وهو حرف الراء المكسورة وسكون ما قلبها في قوله عزوجل : '' الْقَدْرِ ، شَهْرٍ ، أَمْرٍ ، الْفَجْرِ '' ، وهذا من المحسنات البديعية اللطيفة التي جعلت لهذه السورة إيقاعاً جميلاً مُؤثراً في المتلقي[47]؛ لأنَّ الفاصلة القرآنية تُعدّ من أكبر وأهم دعائم النغم القرآنيّ ، إذ تُحافظ على جو التناسق والانسجام داخل النصّ القرآنيّ ، وتُحقق التوازن الصوتي[48].

ومن بديع نسيج الآيات حسن المطلع والختام ، فالسورة بدأت بذكر ليلة القدر بقوله تعالى '' إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ''، وخُتمت بها أيضاً بقولهعزوجل : ''سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْر'' [49]، ليتطابق المطلع مع الختام بأحسن صورةٍ وأروع بيانٍ .

وفي نهاية مطافنا بين بساتين هذه السورة العظيمة ذات القدر العظيم نلاحظ أنَّها مع قصرها –إذ لا تتجاوز الخمس آيات– ومجموع كلماتها ثلاثون كلمة ، جمعت معاني كثيرة للتعظيم تتجاوز العشرة ، بدءاً من ضمير العظمة ''إنا''وختاماً بقوله عزوجل: ''سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ''[50]، وما أفاده الحصر والتخصيص .

إذا كانت سورة القدر عرضت لإنزال القرآن الكريم دفعةً واحدةً إلى بيت العزّة في السماء الدنيا ، فإنَّه في موضعٍ آخر من المفَصَّل جاء فعل الإنزال بصيغةٍ أخرى تدلّ على نزوله مُنجّماً على قلب النبي ﷺ في سياق التثبيت وذلك في قوله عزوجل: ''إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا''.[51]

**الهوامش والمصادر:**

[1] سورة القدر، رقم الآيات/1-5

[2] السنن الكبرى ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت303هـ)، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1411هـ – 1991م ، ح/ 8305، ج/4، ص/306

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ) ، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ساعده: د.عبد السند حسن يمامة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ج/24 ، ص/542 .

[4] سورة الدخان، رقم الآية/ 3

[5] سورة النساء، رقم الآية/105.

[6] سورة الزمر، رقم الآية/2

[7] سورة الدخان، رقم الآية/3

[8] التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمد الطاهر بن عاشور (ت1972هـ)، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د.ط) ، 1984م، ج/30، ص/456

[9] المقصود من الإضمار بلا سبق مرجع في هذا الموضع هو أن يُكتفى بالضمير عن الاسم الصريح لنكتة بلاغية، مع عدم ذكر الاسم من قبل.

[10]معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حسن حبكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ -2000م، ج/2، ص/ 288.

[11] العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1424هـ - 2003م .، ج/3، ص/365 ،(مادة قدر) ، لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت711هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1419هـ - 1999م، ج/11، ص/55، (مادة قدر).

[12] سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية ، عبد القادر عبد الله فتحي علوش ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، أطروحة دكتوراه ، (2003م) ، ص/ 38

[13] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزميدار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1423هـ - 2002م. ، ص/1214.

[14] أسماء القرآن واوصافه في القرآن الكريم ، عمر بن عبد العزيز بن عبد المحسن الدهيشي ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، 1430هـ، ص/100 – 101 .

[15] سورة السجدة، رقم الآية/2

[16]سورة الزمر، رقم الآية/1

[17] سورة آل عمران، رقم الآية/3

[18] ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت708هـ) ، تحقيق: سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، 1428هـ – 2009م، ص/286–287 .

[19]حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الأمين بن عبد الله الأُرمي العلوي الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة: د.هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1421هـ – 2001م،ج/32، ص/183– 184

[20] التحرير والتنوير ، ج/30، ص/457

[21] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة – مصر ، الطبعة الثالثة ، 1426هـ - 2005م، ج/5، ص/ 434

[22] قواعد التفسير جمعاً ودراسةً ، خالد بن عثمان السبت ، دار ابن عفّان ، الخُبَر – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، 1421هـ، ج/1، ص/ 338-339.

[23] التحرير والتنوير، ج/30، ص/458

[24] البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم (جزء عمّ) ، د.عبد القادر حسين، دار الغريب ، القاهرة ، (د.ط) ، 1998 م، ص/130

[25] سورة الحاقة، رقم الآية/ 1-3

[26] معارج التفكر ودقائق التدبر، ج/2، ص/295

[27] الإبداع البياني في القرآن العظيم (في الأمثال ، والتشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، والكناية) مع الامتاع بروائع الإبداع ، محمد علي الصابوني ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت ، الطبعة الاولى، 1426 هـ - 2006 م.، ص/420

[28] البرهان في توجيه متشابه القرآن ، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت حوالي 505 هـ) ، تحقيق: عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1406 هـ - 1986 م، ص/200

[29] سورة الطارق، رقم الآية/1-3

[30] سورة الهمزة، رقم الآية/4-5.

[31] التكرير بين المثير والتأثير ، د.عزّ الدين علي السيّد ، عالم الكتب ، بيروت، الطبعة الثانية ، 1407هـ - 1986م، ص/127-128

[32] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ، الطبعة الثامنة ، 1426 هـ – 2005 م، ج/30 ، ص/ 725

[33] سورة فصلت، رقم الآية/ 30

[34] العلاقات والقرائن في التعبير القرآني ، د.محمود موسى حمدان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1425هـ – 2005م، ص/75

[35] تفسير السراج المنير ، الخطيب الشربيني (ت هـ) ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، (د.ت)، ج/4، ص/568

[36] مسند أحمد بن حنبل، ح/10745، ج/2، ص/519.

[37] الإبداع البياني، ص/420

[38] ذكر الخاص بعد العام، ذكر الشيء منفرداً بعد أنْ ذُكر داخل جنسه أولاً لنكتة بلاغية . (الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، ص/176).

[39] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت1270هـ)، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، 1426هـ –2005م .،ج/15، ص/419.

[40] معارج التفكر ودقائق التدبر ، ج/2، ص/299

[41] التحرير والتنوير، ج/30، ص/ 464

[42] نفس المصدر، ص/465

[43] الكشاف، ص/1214

[44] الاحتراس:" أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه "، (الإيضاح في علوم البلاغة، ص/180).

[45] سورة الحجر، رقم الآية/8

[46] التحرير والتنوير، ج/30، ص/465.

[47] حدائق الروح والريحان، ج/30، ص/200

[48] التعبير القرآني والدلالة النفسية ، د. عبد الله مُحَمَّد الجيّوسي ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1427هـ – 2007م ، ص/185

[49] مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر مُحَمَّد السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: د.مُحَمَّد عمر بن سالم بازمول ، المكتبة المكّية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، 1423هـ – 2002م، ص/178

[50] سورة القدر، رقم الآية/5

[51] سورة الإنسان، رقم الآية/23